شعرية الأزهار ودلالتها في الشعر الشعبي الجزائري
–ديوان سعيد بن عبد الله المنداسي نموذجا–

د. عبد اللطيف حني

المركز الجامعي بالطارف

ملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى البحث في دلالات ومعاني توظيف الأزهار في الشعر الشعبي الجزائري متخذة من ديوان الشاعر سعيد بن عبد الله المنداسي التلمساني نموذجا، وذلك بالوقوف على النماذج الشعرية التي تم فيها توظيف الأزهار باعتبارها معادلا موضوعيا لأحاسيسه ومشاعره خاصة أثناء تصوير جمال وتميز ممدوحه يضاف إليها الأشجار والطيور، مستعينا بالأساليب البيانية لأحداث اللمسة الفنية العفوية المتميزة والمتصفة بالجمالية في الآن نفسه.

Abstract:

This study seeks the uncovering of meanings when employing the imagery of flowers in populist Algerian poetry. The poetry taken into account as a model is that of Said Ben Abdullah Almndasi Tlemceni. This poetry stands out from those genres of poetry that has the humanization of the flowers as its project. Flowers are indeed equivalent to a modulator of the poet's sensations and feelings, especially when highlighting beauty

مقدمة:

سعى الشاعر منذ القديم إلى استلهام الأفكار والمعاني من بيئته، محاولا تفعيلها واستنطاقها، وخاصة تلك المظاهر التي تتدثر بصور الجمال أبعاده، فكانت الأزهار موضوعا بارزا في دواوين الشعراء، حيث ذهبوا إلى وصف جمال ألوانها وطيب رائحتها وتنوع أشكالها، مثمنين قيمتها المعنوية، ومستفيدين من دلالاتها في نقل أفكارهم وإبراز مشاعرهم وصدق أحاسيسهم، ولم يشذ الشاعر الشعبي عموما والجزائري خصوصا عن هذا التوظيف الجمالي لدلالة الأزهار في المجتمع الجزائري، خاصة الشاعر المنداسي في ديوانه الذي راح يبعث فيها الحركة والحيوية من خلال وصفها وذكر أسمائها التي عرفت بها، واستعان بسحرها لرسم صوره الفنية الممتعة، فكون لنا معجما ثريا يعكس طبيعة ثقافة التعامل مع الأزهار والورود عند الجزائريين في عصره، وهذا ما تؤكده نصوصه الشعرية.

أولا–الأزهار في المعجم العربي:

عند الرجوع إلى المعاجم العربية نجدها قد تناولت مادة الزهر بالشرح والتفسير اللغوي حيث جاء في لسان العرب أن الزهرة هي « نَوْرُ كل نبات والجمع زَهْرٌ وخص بعضهم به الأَبيض وزَهْرُ النبت نَوْرُه وكذلك الزهَرَةُ بالتحريك والنَّوْرُ الأَبيض والزَّهْرُ الأَصفر وذلك لأَنه يبيضُّ ثم يصفّر والجمع أَزْهارٌ وأَزاهِيرُ جمع الجمع وقد أَزْهَرَ الشجر والنبات وقال أَبو حنيفة أَزْهَرَ النبتُ بالأَلف إِذا نَوَّرَ وظهر زَهْرُه وزَهُرَ بغير أَلف إِذا حَسُنَ وازْهارَّ النبت كازْهَرَّ»[1]، كما جاء في معنى الزهرة: «الزَّهَرَةُ النبات عن ثعلب قال ابن سيده وأُراه إِنما يريد النَّوْرَ وزَهْرَةُ

[1]–ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، ج 4، ص 331، 332.

الدنيا وزَهَرَتُهَا حُسْنُها وبَهْجَتُها وغَضَارَتُها وفي التنزيل العزيز زَهْرَةَ الحياة الدنيا»[1].

ويفسر صاحب تاج العروس الزهرة بالإشراق والوضوح، فيقول: «الزُّهْرَة: الإشْراقُ في أَي لَوْنٍ كان وأنشد في لَوْن الحَوْذَانِ وهو أصْفَرُ»[2]، ويتفق معه صاحب العين، فيقول: «زهر: الزَّهْرةُ: نَوْرُ كلِّ نَباتٍ. وزَهرةُ الدّنيا: حُسْنُها وبَهْجَتهُا، وشجرةٌ مُزهِرةٌ، ونباتٌ مُزهر»[3].

ويبدو أن المعاجم العربية تعرضت لمعنى الورد أيضا، حيث جاء في تاج العروس للزبيدي أن « الوَرْدُ مِنْ كُلِّ شَجَرَةٍ: نَوْرُهَا وقد غَلَبَ على نوعِ الحَوْجَمِ وهو الأَحمرُ المعروف الذي يُشَمُّ واحدته وَرْدَة وفي المصباح أَنه مُعَرَّبٌ والوُرُودَةُ: حُمْرَةٌ تَضْرِب إِلى صُفْرَةٍ الوَرْدُ: لَوْنٌ أَحْمَرُ يَضْرِب إِلى صُفْرَةٍ حَسَنَةٍ في كُلِّ شْيءٍ فَرَسٌ وَرْدٌ وُرْدٌ بضمّ فسكون مثل جَوْنٍ وجُونٍ ووِرَادٌ بالكسر وأَوْرَادٌ»[4].

ولعل معنى الورد لا يختلف عن الزهر فكلاهما يشير إلى التحول من السكون إلى الحركة ومن الموت إلى الحياة المصاحبة بسحر الألوان وإشراق الضوء وفتنة المنظر، وهذا ما يؤكده الزبيدي حين يبيّن معنى توريد الشجرة ويقيسها على تزيّن المرأة فيقول: « ووَرَّدَتِ الشَّجَرَةُ تَوْرِيداً: نَوَّرَتْ أَي خَرَجَ نَوْرُهَا قاله أَبو حَنيفةَ، من المَجازِ: خَدٌّ مُوَرَّدٌ ويقال وَرَّدَت المَرْأَةُ إذا حَمَّرَتْ خَدَّهَا وعالَجَتْه بِصِبْغِ القُطْنَةِ المَصْبُوغة»[5]، ويوافقه الأزهري في قوله « الوَرْدُ اسم

---

[1]–نفسه، ص 332.

[2]–محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، المطبعة الخيرية، مصر، تصوير دار مكتبة الحياة، بيروت، 1306هـ، المجلد الرابع (زهر)، ص 440.

[3]–الفراهيدي، العين، دار صادر، بيروت، لبنان، المجلد 2، ص 217.

[4]– محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ص 720.

[5]– نفسه، ص 720.

نَـوْر، ويقـال لـه: وَرَّدَت الشـجرة إذا خـرج نورهـا»[1] أي تزينـت بلونـه، وتغيـرت صورتها من التجرد إلى الاكتساء.

نسـتخلص ممـا سـبق أن الزهـرة والـوردة تجتمعـان فـي معنـى النـور والإشراق والظهور، وقد استعملتها العامة في معنى واحد إذ لا فرق بين الزهرة والوردة، ووظف الفلاحون مصطلح الإزهار للدلالة على مرحلة الظهور الأولي للبراعم التي تتفتح لتصبح زهرة، فيقول أزهرت الأشجار أي بدأت مرحلة الإنتاج، ومع تدرج الاستعمال المصطلحي وظفت الزهرة والوردة للتعبير عن كل ما هو جميل مع أن لفظة وردة أعمق دلالة من زهرة وخاصة في التعبير عن جمال المرأة في الأوساط الشعبية، ومع التطور الزراعي والصناعي انتشرت زراعة الورود في حدائق الديار والحدائق العامة، وخصصت محال لبيعها واقتنائها، وبذلك عرفت الزهرة في معنى الوردة وهذا المتعارف عنه بين الناس.

ثانيا–حضور الأزهار في الشعر العربي القديم:

إنّ المـتمعن فـي التـراث الشـعري العربـي يجـد للأزهـار حضـورا فـي القصيدة العربية، بسبب الدلالات الجمالية لألوانها ورائحتها التي تضفيها على المعاني، كما يوظفها الشاعر من خلال تشبيهات بديعة وجميلة يستخدمها لصنع المعاني ودبلجت الأفكار، ومعظمها يصب في معاني الجمال والنقاء والبراءة والضياء والإشراق والألوان الخلابة، وغيرها من المعاني التي يستعين بها الشاعر لرسم صور الفنية في قوالب مجازية(كناية، تشبيه، استعارة)، والتي تعكس ما في نفسه ووجدانه من معان سامية وصور بديعة.

عرف الشعر الجاهلي حضور النباتات والأشجار على اختلاف أنواعها أكثر من حضور الأزهار، وهذا راجع لطبيعة البيئة الجاهلية الصحراوية التي تقل فيها الخضرة، ونمط عيش أهلها المتميزة بكثرة التنقل والترحال بحثا عن الكلأ

---

[1]– الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، 1984، ص263.

ومساقط المطر، لذلك كانت صورة الأزهار غير واضحة وغير مكتملة في أذهان الشعراء، ماعدا ما وفرته لهم رحلاتهم إلى الأمصار الأخرى التي تتلون بمختلف الأزهار والأشجار بغرض التجارة، وهذه الأسباب «لم تترك لهم الوقت الكافي حتى يتفرغوا لاستقصاء وصفها، فضلا عن أنها غير متعلقة بحياتهم المعاشية، ولهذا كان ذكرها في مواضع الغزل والتشبيه أغلب»[1].

ومن بين الزهور الموظفة في الشعر الجاهلي الأقحوان الذي يمتاز بالبياض الشديد، فيشبه به الثغر عند الضحك والابتسام التي تظهر فيه الأسنان بيضاء، مثل أوراقه الصغيرة المفلجة، حيث يقول طرفة بن العبد متغزلا بثغر حبيبته: [2]

تَضْحَكُ منْ مثْل الأَقَاْحيْ حَوَى منْ دَيْمَة سَكبْ مَاء دُلُوج

وينتهج الأعشى التشبيه نفسه، موظفا لون الأقحوان المغري بجمال بياضه، حيث يقول: [3]

وتَضْحَكُ عَنْ غرّ الثَنَايَا كَأَنّهُ ذُرَى أُقْحُوَانٍ نبتُهُ مُتَنَاغمُ

ويصور بشر بن أبي خازم اتضاح لون الأسنان عن تبسم الحسنوات بالأقحوان الذي تفتح حديثا، فيبهر الناظرين ويبهج الحزانى، فيقول: [4]

يَفْلَجْنَ الشّفَاه عَنْ أُقحُوَان جَلاءَ غَبّ سَاريّة قِطَارِ

---

[1]–نوري حمودي القيسي، الطبيعة في الشعر الجاهلي، دار الإرشاد، بيروت، ط1، 1970، ص 89.

[2]–طرفة بن العبد، الديوان، تحقيق : درية الخطيب ولطفي الصقال، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1975، ص 145.

[3]–الأعشى، ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس)، شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987، ص 178.

[4]–بشر بن أبي خازم الأسدي، الديوان، تحقيق : عزة حسن، وزارة الثقافة، دمشق، ط 2، 1972، ص 63.

ويبدو أن بياض الأقحوان يبعث على صور عدة لدى الشعراء، فيستعينون به لتصوير الشيب لمشابهته في اللون والحركة، غير أنهم يستعينون بزهرة أخرى يسمى «الخزامى فهو نبت زهره من أطيب الأزهار، وريحه من أنعش الرياح، وكانوا يأتون على ذكره في حديثهم عن الرياض والمياه المناسبة، ثم يقرنون ذلك بريح الخزامى، لأنها من مستلزمات هذا الحديث»[1]، ويصف عبيد جمال وطيب ريح الخزامى، فيقول: [2]

وَرَيْحُ الْخُزَامَى فَيْ مَذَانبِ رَوْضَةٍ جَلا وَمِنْهَا سَارِ مِنْ الْمُزْنِ هَطَالِ

وقد طيّب الشعراء قوافيهم بالأزهار الطيبة الرائحة، متخذين من مزاياها وخصائصها وألوانها الجميلة مصدرا لصورهم الشعرية كالريحان والحوذان، حيث«أشار الشنفرى إلى الريحان وطيب ريحه وتوهجه وتفرقه في كل جانب وطيب نسيمه عند العشاء، لأنه أبرد للريح عند مغيب الشمس»[3]، حيث يقول: [4]

فَبِتْنَا كَأَنّ الْبَيْت حُجّرَ فَوقَنَا بِرَيْحَانة رَبَحَت عَشَاء وَطُلّتِ
بريْحانةٍ مِنْ بَطِنِ حَلَبَة نَوّرت لَهَا اربح مَا حَولهَا غَير مُسنّتِ

ولعل أزهار "شقائق النعمان" عرفت عند الجاهليين بلونها الأحمر القاني، حيث شبهوا ثماره الحمراء بالدماء، واتخذوه مرجعا له، إضافة إلى أزهار أخرى مثل الرند والكافور والزنبق والقرنفل والياسمين، فقد اتخذ الأعشى من عطر الزنبق صورة لحبيبته، حيث يصفها بقوله: [5]

1– نوري حمودي القيسي، الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص 90.

2–عبيد بن الأبرص، الديوان، تحقيق : حسين نصار، القاهرة، ط 1، 1957، ص 114.

3– نوري حمودي القيسي، الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص 72.

4–المفضل، المفضليات، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط 3، 1964، ج 1، ص 110.

5–الأعشى، الديوان، ص 59.

إذا تَقُوم يَضُوع الْمِسْكُ أَصْوَرَة وَالزنّبقُ الوَرْدُ مِنْ أَرْدَانِهَا شَمِلُ

كما يصور امرؤ القيس عطر حبيبته المتضوع منهما عندما قامتا صباحا بصورة نسيم الصبا المتعطر برائحة القرنفل الزكية، حيث يقول: [1]

كَدَأْبِكْ مِنْ أُمْ الْحُوَيْرَثْ قَبْلَهْاْ وَجَارْتهَا أمّ الرّباب بِمَأْسل

إِذَاْ قَاْمَتَا تَضَوّعَ الْمُسْكُ مِنْهُمَا نَسَيْمَ الصّبَا جَاءَتْ بِرَيّا الْقُرُنْفُل

فَاضَتْ دُمُوْعُ الْعَيْنِ مِنِيْ صَبَاْبَةً عَلَىْ النَحْرِ حَتّى بَلّ دَمْعِيْ مَحْمَلِيْ

إنّ المتأمل في الشعر الجاهلي لا يلمس شيوع التغني بالأزهار عند الشعراء، وذلك راجع كما أسلفنا إلى قلتها في الطبيعة الصحراوية، وإلى طبيعة حياة الجاهلي التي تمتاز بالتنقل والترحال، في حين نجد ثراء الخارطة الشعرية الجاهلية بالأشجار والنباتات بمختلف أنواعها، للحاجة الطبيعية لها وكثرة التعامل معها واعتماد الجاهلي عليها في حياته وتغذية مواشيه عليها، مما اتكأت عليها صوره بكثرة، ورغم ذلك فقد استوح الشاعر الجاهلي من الأزهار بألوانها وجمالها ورائحتها صوره التي اعتمد عليها في التغزل والمدح.

كما تلون الشعر في العصور التالية، خاصة الإسلامي الأموي والعباسي بالتغني بالأزهار، وهذا راجع إلى استقرار العرب في دولة الخلافة الإسلامية وتمركزهم في الحواضر مثل دمشق وبغداد، مما جعلهم يعيشون في بيئة تعج بالخضرة والبساتين والجنان وكثرة المياه المنسابة فيها، وتزود العرب بثقافة الأمم الأخرى التي انصهرت معها نتيجة التمازج الحضاري، كما عرف المجمع الترف في المعيشة، مما لفت انتباه الكثير من الشعراء إلى تصوير مختلف الأزهار وجعلها خلفية بألوانها وروائحها المنعشة لصورهم الشعرية، وهذا ما نجده شاخصا في الشعر الأندلسي الذي انعكست الطبيعة الخلابة على إبداع

---

[1]–امرؤ القيس، الديوان، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ص 15.

شعرائه فرأينا بصمات الأزهار واضحة على محياه، وهي انعكاس لجمال البساتين والحدائق والرياض والروابي التي ترسم خارطة غرناطة وأشبيلية والزهراء والزاهرة وباقي البلاد الأندلسية.

ولطالما تغنى الشاعر الأندلسي شابا وشيخا بالأزهار الأندلسية فصور من خلالها إحساسه وشعوره الرقيق، هذا ابن هذيل يعبر عن إعجابه بجمال الزهراء وروعة منظرها وفتنة تخطيطها، فيقول: [1]

إنّ النّخَيلَ البَاسِقَاتِ إلى العُلا عَذَارَى حِجَالٍ رَجَلَت لمَما شُقْرَا

كأنّ غُصُونَ الآس وَالرّيْح بَيْنَهَا مُتُون نَشَاوَى كُلّمَا اضْطَرَبَتْ سُكْرَا

كَأَنّ جِنّي الْجُلْنَارِ ووَرْدِهِ عَشِيْقَانِ لَمّا اسْتَجْمَعَا أَظْهَرَا خَفْرَا

وهكذا استمر توظيف جماليات الأزهار في الشعر العربي عبر عصوره المتلاحقة، منذ انتشار النزعات الأدبية في القرن العشرين وعلى رأسها الرومانسية التي راحت تحاكي العواطف والأحاسيس متخذة من الطبيعة بمختلف أشكالها ملجأ لصورهم الشعرية، مشكلين بها أروع القصائد التي نقشت على الذاكرة العربية خاصة قصائد نزار قباني وعبد الله البردوني وغيرهم من الشعراء الذين وطنوا شعرية الأزهار في دواوينهم ورطبوا لغتها وامتزجوا بروحانيتها وتقمصوا ألوانها، فأبدعوا روائع ممتدة امتداد الشعر.

حاولنا في هذا العنصر التعريج على مدى حضور الأزهار في الشعر العربي منذ العصر الجاهلي إلى الحديث، من أجل الوقوف على التطور الدلالي والفني للأزهار في الإبداع العربي، وما كانت تعكسه من صور متنوعة بمختلف أسمائها التي بعضها حافظت عليها مثل الياسمين والنسرين والجلنار وبعضها اتخذ اسما آخر وبعضها اندثر استعماله، وجدير بنا الانتقال إلى تناول الشاعر

---

[1]–محمد بن الكتاني الطبيب، كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق : إحسان عباس، دار الشروق، بيروت، ط2، 1981، ج1، ص 79.

الشعبي الجزائري للأزهار في إبداعه، والوقوف على شعرية توظيفها، والتمعن في مدى تصويرها وكفاءته في جعلها مطية لأحاسيسه ومشاعره، متجاوزا بخبرته الشعرية بعدها المادي إلى التوظيف المعنوي السامي.

ثالثا-شعرية توظيف الأزهار عند المنداسي:

يجدر بنا أن نلقي نظرة عن سيرة شاعرنا، فهو سعيد بن عبد الله التلمساني المنشأ المنداسي(بلدة منداس بغليزان) الأصل، عاش بتلمسان في القرن الحادي عشر الهجري، ويعد من فحول الشعر الملحون الجزائري والفصيح وهو «من شعراء المدائح النبوية وكان متمكنا في اللغة والأدب»[1]، عرف بتقواه وتقربه من الله وهذا ما يظهر في شعره الديني المكثف، عاصر الأتراك وشهد ظلمهم فدعا الناس للثورة عليهم فقال: [2]

أَيّا آلَ دَين الله مَـاْلِيْ أَرَاكُمْ نِيَامًا وَكَانَ الطّرْفً مِنْ قَبلُ يَقْظَانَاْ

فَدَاْرُكُمْ الْزّهْرَاءُ بْالنّاْرِ أَحْرَقَتْ وَبَانَ جَمَيلُ الْصّبْر للْزّيْغِ إِذَ بَاْنَاْ

وأبدى المنداسي روحا وطنية وثورية ودينية من خلال رفض السياسة التركية وما كانت تفرضه على أهل تلمسان من عنف وسلب للأموال وسفك للدماء دون وجه حق، حيث يقول: [3]

عَلَىْ نَهْبِ أَمْوَالِ الْيَتَامَىْ تَظَاهَرُواْ وَكَانَتْ لَهُمْ أَعْلَى الْمَدينَة آذَانَاْ

فَمَاْ الله عَنْ سَفْكْ الْدِمَاءْ بِغَافِلِ وَلا يَتْرُكُ الرّحْمَانُ حَاشَاهُ لَعْبَانَاْ

من خلال شعر المنداسي الديني ومناجاته لله تعالى ومدحياته للرسول وتوسله بالأولياء الصالحين تبدو روحه المتصوفة المتسامية إلى مكارم الأخلاق

1-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ج2، ص 275.

2- ديوان سعيد بن عبد الله التلمساني المنداسي: تحقيق وتقديم:رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، ص 91،90.

3- نفسه، ص 89.

وعلياء الجمال، فكان قوافيه ولادة للمعاني متزاحمة بالدلالات مملوءة بالأفكار والرؤى الطاهرة العفيفة، توفي شاعرنا سنة 1088هـ/1677م[1].

كما اتسم شعر المنداسي بالطابع الرومانسي في كثير من موضوعاته، وذلك بتوظيف النبات للتعبير عن أفكاره ورصد مواقفه الشعورية، محملا أحد مظاهر الطبيعة رؤاه الفنية وساكبا في قوالبها ظواهر شعره الأسلوبية، خاصة النخل والرومان والتين، وأنواع من الأزهار مثل الياسمين والجلنار والفل والقرنفل، والاستعانة بجمالياتها المادية الظاهرة والمعروفة عند المتلقي للارتقاء بأفكاره وتلوينها بالبلاغة والإيجاز، وتعبئة تلك المرجعية التي يمتلكها القارئ حول الأزهار بالدلالات المختلفة المعبرة عن حالته والواصفة لموقفه، وهذا ما يؤكد حرص الشاعر الشعبي الجزائري على الاستعانة بكل ما هو جميل للتقرب من المتلقي وتبليغه مشاعره.

ولعل المتفحص لديوان المنداسي يجد توظيفا واسعا للأزهار خاصة في الغزل والمديح والوصف، وهذا من استراتجيات تشكيل صوره الشعرية، التي باتت تستعين بجماليات الطبيعة الخلابة لرسمها وتشكيل أفكاره وشحنها الدلالات، لغنى الطبيعة بالتشبيهات البليغة التي تغني عن الاستطراد والتعليل والتفسير، وتجعله يقصد الفكرة بالإشارة والتلميح دون التفصيل، ولقرب صور الأزهار والنباتات من المتلقي الشعبي المعني الأول بالخطاب، مما يؤهله للتفاعل مع المبدع وهذا ما يسعى لتحقيقه المنداسي.

والحضور المكثف للأزهار في شعر المنداسي يكشف عن وعي الشاعر بالقيمة الجمالية والفنية لمعاني النبات خصوصا والطبيعة عموما في التأثير على المعاني، وحشد الكثير من الدلالات غير المتناهية التي من شأنها

---

[1]–ينظر: ديوان سعيد المنداسي(الشعبي): تقديم وتحقيق: الأستاذ محمد بخوشة، مقدمة الديوان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، د ت، ص 06. وينظر : ديوان سعيد بن عبد الله التلمساني المنداسي، ص 05.

الارتقاء بالخطاب الشعري إلى مستويات أعلى وتطعيمه بزخم من الإيحاءات التي تحتاج إلى عدة تفاسير وتمنحه كثرة التأويل مما يجعل النص الشعري الشعبي نصا مفتوحا على القراءات المتعددة.

ومن القصائد التي وظف فيها المنداسي الأزهار بكثرة قصيدته "الربيعية" التي تغنى فيها بمجيء الربيع الذي اكتست فيه الطبيعة حلّة ملونة، وارتدت ثوبا مزركشا، فرسمت صورة تبهج الوجدان وتهيّج المشاعر وتغري القلوب فتعشقها، فتروح قريحة الشاعر تحدثنا عن جمال هذا المنظر، ويحمله أحاسيسه ومشاعره، ويضمنه غرامه وعشقه، ويؤمنه على إيصال الصورة واضحة بليغة موجزة للمتلقي ويعهد إليه التفاعل معه، فنراه يفتتح القصيدة بالترحيب بفصل الربيع، فصل الأزهار والورود فيقول: [1]

الرّبَيْعْ أَقْبَلْ بَجْيُوشُو بَرْقْ وَرْيَاْحْ وَالرْعَدْ طُبُوْلُوْ رَنّتْ عَسْكَرْ قْوَيّةْ

الْمُزُوْنْ اَتّبّعْ خَلاْفُو مْسَاءْ أَوْ لَصْبَاحْ فيْ جَوّ سْمَاهَا بَمِطَارْهَاْ هْوَيّةْ

حْيَاتْ نْبَاتْ الأَرْضْ كَذَاْ أَوْلَبْطَاحْ بَعْد كَانَتْ جَاْذبَةْ رَجْعَتْ فيْ سْجَيَةْ

فالشاعر يفتتح القصيد بوصف لحالة إقبال الربيع وما صاحبه من تغيرات، فقد صاحبه الخير العميم من أمطار غزيرة (الْمُزُوْنْ)، أحيت الأرض بعد موتها، وأذهبت عنها الجفاف المطبق عليها، ففرحت الطبيعة بحلول الربيع وتزينت بردائه، لما فيه من مناظر جذابة مغرية مفرحة تذهب عن النفس الهم والغم، مركزا على عودة الحياة للأشجار التي اكتست بالإزهار والنور، فيقول: [2]

هَذَاْ فَصْلْ الْرّبَيْعْ يَجْلِيْ كُلْ حْزَيْنْ اَغْنَمْ يَا مَنْ قَلْبُوْ فَالْعَشْقْ فَاْنيْ

انْكْسَاْتْ الأَرْضْ بَحْلَلْ مَخْتَلْفَيْنْ زَهْرَتْ لَشْجَاْرْ لَيْمُوْنْ أَوْ رُمَانيْ

---

[1]–عبد الحق زريوح، الخصائص الفنية للشعر الشعبي، رسالة ماجستير، مخطوط، معهد الثقافة الشعبية، تلمسان، 1991، الملحق الشعري، ص 267.

[2]–نفسه، ص 267.

ولعل القارئ للبيتين ولمطلع القصيدة يتبادر إلى ذهنه قصيدة تغني البحتري بإقبال الربيع وفتنة جماله الذي سلب لبّه، فالشاعر المنداسي يتناص معه ومع موضوعه، حيث يقول البحتري: [1]

أَتَاكَ الرّبِيْعُ الطلقُ يَخْتالُ ضَاحكًا منَ الحُسنِ حَتى كَاد أَنْ يَتَكَلمَا
وَقَدْ نَبه النَورُوز فيْ غَلَس الدُجَى أَوَائلَ وَرد كُنّ بالأَمْسِ نُوّمَا
يَفْتُتهَا بَرد النّدَى فَكَأنّهُ يَنْبُتُ حَديثًا كَانَ قَبْلَ مُكَتَمَا

بعد الترحيب بقدوم الربيع ينتقل المنداسي إلى وصف مفصل للربيع مركزا على الأزهار بوصفها الميزة الجلية لهذا الفصل، متغنيا بجمالها وتنوعها، ومشكلا بألوانها وأنواعها صورا شعرية بديعة، تكشف عن نفسه ومشاعره وتنقل أفكاره للمتلقي، حيث يقول: [2]

الرّبَيعْ اَقْبَلْ بَفْضَالُوِ للْعْشَيقْ سَلْوَانْ خَاطْرُ وَيَتْسَلَىْ مَنْ كُلْ بَاْسْ يَهْنَىْ
الزَهْرْ وَالنَسْرِيْ وَالْفُلْ مَعَ الْسيْسَانْ مَرْدْقُوشْ وَالخَيْلِيْ فيْ طْرَافْ يَاْسْمَيْنَاْ
الْسُنبَلْ وَالنَرْجَسْ وَالَبَاْغْ وَالقَيْقْلانْ قُرُنْفُلْ أَوْ شَاْكُوكيْ بيْنُهُمْ لَحْبَقْ عْنَاْ

من خلال الأبيات السابقة يبدو أن الشاعر حشد كما هائلا من أنواع الأزهار التي شاعت وعرفت في الثقافة الشعبية، وهذا ينم على معرفته لها، ويدل على اهتمام المجتمع الجزائري في العصور السابقة بالأزهار زراعة واستعمالا وتصنيعا، فهناك العديد من الأسماء شائعة ومعروفة في ربوع الوطن الجزائري، مع اختلاف هذه الأسماء من منطقة لأخرى، أو تغيرها إلى مسمى جديد أخذ عن الغرب أو شيوع في منطقة عن أخرى، خاصة الأماكن التي تهتم بزراعة وقطف الأزهار.

---

[1]–صالح حسن اليظي، البحتري بين نقاد عصره، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1982، ص 92.

[2]– عبد الحق زريوح، الخصائص الفنية للشعر الشعبي، ص 267.

كما لا يقتصر وصف الشاعر للأزهار خارجيا؛ أي منظرها المادي فقط بل يتعداها إلى تصوير رائحتها الزكية أي الصفة المعنوية (زكية، ذكية، فاح، زينه شباح) التي تختلف من زهرة لأخرى، وهذا ينم عن اطلاع واسع بها، ويكشف لنا عن خبرة في التوظيف الجيد لها وعلى قدرته الشعرية في التصوير، مما يجعلنا نتعايش مع الجو الربيعي، حيث يضعنا عن طريق المخيلة في الطبيعة المزهرة بالأزهار المتنوعة، وفي الآن نفسه يظهر غنى الطبيعة الجزائرية بها، مثل " الْبَاْبُوْنُجْ وَقَصْنْدَشْ وَالْزْرَيْرَقْ وَرْدْ الْمَسْكيْ والخَشْخَاْشْ والدَيْدْحَاْنْ وَالعَطْرْشَهْ الْبْهَرْ وَاللّوَيْزَاْ وَالْيَاْسْ(الياسمين) والْدُمْرَانْ وَالْرَيْحَانِْ والجَلاّرْ "، وجميع مسميات الأزهار المعروفة في الجزائر وخاصة المنطقة الغربية منها، حيث يقول: [1]

[1]-نفسه، ص 267-268.

الْبَاْبُوْنُجْ وَقَصْنْدَشْ وَالْزَرِيْرَقْ بْطَيْبْ فَاْحْ

وَرْدْ الْمَسْكِيْ يَعْبَقْ بَنْسَاْيْمَهْ ذْكَيّهْ

خَشْخَاْشْ مَسْك الْرُوْمِيْ زَيْنَهْ شْبَاْحْ

دَيْدْحَاْنْ وَعَطْرْشَهْ لْلْنَظْرَةْ زْهَيّةْ

الْرّبْيِعْ أَقْبَلْ يَاْ أَهْلْ الْحَمَيةْ

الْبْهَرْ وَاللّوَيْزَاْ وَالْيَاْسْ بَاْلْزَيْنْ يْصُوْلْ

الَوَرْدْ مَنْ كُلْ نَوْعْ شْبَيْرْ وَالْقُرُنْفُلْ عْمَاْيَمْ

الْدُمْرَانْ وَالْرَيْحَانِْ وَالْزَرِيْرَقْ مَخْبُوْلْ

زَرْنَبْ أَوْ جَلاّرْ فَيْ فَرْعُهْ مَتْبَسَمْ

فالمنداسي يستعرض علينا بشعرية باقة من الأزهار المشكلة من الطبيعة الجزائرية الخلابة، التي تنقلها لنا تجربته الشعرية المتأثرة بسحر الطبيعة وجمالها، باعثا في الأزهار الحركة ومضف عليها مختلف الصفات المعنوية، فورد " الْمَسْكِيْ " يعمّ المكان برائحته الزكية ويحجب روائح الأزهار الأخرى، فهو المسيطر على المكان، و"مسك الرومي" يفتخر بجماله الوضاح ولونه الأبيض الفاتح الذي يخطف الأنظار ويسلب العقول، و"الدَيدْحَان" و"العُطْرْشَة" شفاء لعلة النظر وجلاء للهموم، و"البهر" و"اللويزا" والياسمين" يتباهوا بالجمال والنقاء على مثيلاتهم، أما "القُرُنْفُلْ" فقد اتخذ مكانة السلطان والملك على أقرانه، مرتديا بلونه الزاهي عمامة تدل على الاستعلاء والترفع، في حين "الدمران" و"الريحان" يبدوان حييّان خجلان في جمالهما وألوانهما، والجلار (الجلنار) يتبسم فرحا بصورته المغرية وطربا بالربيع وجوّه.

والذي يسترعي اهتمامنا قدرة المنداسي اللغوية على رصف أسماء ونعوت الأزهار، مما يدل على اتساع ثقافته ومعرفته، وهذا ما يؤكده التصوير المبهر للطبيعة المزدانة بأشكال الأزهار، حيث يقول: [1]

الْحَلْحَالْ أَوْ بَنْ الْنُّعْمَانْ هَايْمَ
الأَرْضْ اَنْخَرْقَتْ بَكُلْ طَيْبْ نَسَّمْ
بَالْلّقَاحْ كُلّ عْشُوْبْ وَالْنَبَاتْ مَسْبُوْلْ
خَضَارْتْ بْسَاطَاتْ أَرْيَاضَهَاْ تْنَعّمْ
وَالأَشْجَارْ مَشْتَبْكَةْ بَقْرُوْعَهَاْ تْصُوْلْ
وَجْدَاوَلْ تَجْرِيْ بَمِيَاْهْ سَيْلْ هَايّمْ
عْلَىْ خُطُوْطْ الَزَرَابَهْ عْلَىْ الْعَرْضْ أَو طُوْلْ

فالطبيعة تزينت بألوان الأزهار والأعشاب والنباتات المنتشرة على ربوعها، حيث شكلت بساطا أخضرا ينير المكان تزيده جمالا صورة تشابك الأشجار بعضها ببعض، وما يضفي على الصورة جمالية وشعرية متناهية، أصوات الجداول المنسابة بين الرياض والبساتين مشكلة خطوطا على أطراف الطبيعة، حيث يشبهها المنداسي بسجادة كبيرة (زَرْبَيّة) متعددة الألوان والأشكال، وهذا الوصف ينمّ عن شعرية المنداسي في رسم صوره، ونقل أفكاره.

والحديث عن الأزهار والأشجار يستدعي من المنداسي التعريج على ذكر الطيور التي تتألف مع الأزهار وتزدهي بها، فتتلون بألوانها وتتنوع بتنوعها، وفي هذا يسرد علينا أسماء عديدة لها، كاشفا عن ثقافته فيها أيضا، ليستكمل رسم صورته الطبيعية، حيث يقول: [2]

أُوْلَطْيَاْرْ فَيْ بْسَاْتَنْ تْصَيْحْ بَصْيَاْحْ

---

[1]–نفسه، ص 268.

[2]–نفسه، ص 268–269.

عْلَى مْنَابَرْ لَغْصَانْ يَسَبْحُوْ زْهَيّةْ

الْهَزَارْ يَهَلّلْ فَوْقْ غْصَانْ لَدْوَاحْ

وَالْبْشَيْقْ يْجَاْوبْ بَصْوَاتُـهْ هْنَيّةْ

اَسْمَعْ حَسّْ لَطْيُوْرْ نَاْطْقَةْ بَصَوْتْ مَرْفُوْعْ

بَهْبُوْبْ الْنْسَاْيَمْ الْصَبَابَهْ بْتَمْجيْدْ تْصَادِيْ

أُمْ الْحَسَنْ بْصَوْتَهَاْ تْهّيَجْ مَنْ هُوَ مَوْلُوْعْ

وَالْبُلْبُلْ مَنْ نْغَاْيُمُـهْ لَشْوَاْقْ تَزْدَاْدِيْ

لعل المنداسي يود استكمال رسم لوحته الشعرية الفنية بإضافة الطيور التي تزخر بها الطبيعة الجزائرية، ويعتبرها عنصرا جماليا لشعرية الأزهار، فلا يمكننا أن نتخيل بساتين أو رياض دون طيور بأصواتها وحركتها، ولا يمكن للشاعر أن يغض بصره ويمنع سمعه على تغريدها المرتفع المختلط مع نسيم روائح الأزهار التي تزيد من سحر المكان، حيث حشد لنا العديد من الأسماء التي عرفت في البيئة المحلية مثل (الهَزَار) و(الْبْشَيْقْ) (أُمْ الْحَسَنْ) وهو طائر لونه أحمر و(الْبُلْبُلْ) مبينا أثر تغريد كل طائر على نفسه المحبة للطبيعة والعاشقة للجمال.

ويواصل المنداسي في تعداد الطيور التي تزخر بها البساتين الجزائرية في قوله: [1]

[1]-نفسه، ص 269.

مَنّيَاْرْ يَحَنَنْ وَيَزَيْدْ لْلْقَلْبْ خْشُوْعْ

وَالْحَرْيَلْ بْمَاْيْتُهْ يَنْشَدْ عْلَىْ شْطُوْطْ الْوَاْدِيْ

الْمْقَانَنْ تَفْخَرْ بَصْوَاتْهَاْ تْبَاْعَهْ

عْلَىْ الْسْوَاقِيْ وَمْيَاْهْ تْدَفّقْ كَمْ وَاْدِيْ

الْدَمْغَانْ يْفَكّرْ وَيْزَيْدْ فَالوْلاعَةْ

عْلىْ مَرْفُوْعْ الأَشْجَارْ بْصَوْتُهْ يْنَاْدِيْ

الْقُمْرِيْ يْغَرَدْ فِيْ بْرُوْجْ الْرّفَاعَةْ

الْيَمَامْ وَالْفَاْخَتْ تَنْشَدْ فَالْوْهَادِيْ

يضيف المنداسي إلى قاموسنا جملة من أسماء الطيور الأخرى التي تحفظها الذاكرة الشعبية، فمنها مازال متداولا نظرا للاستعمال ولوجود هذه الطيور في البيئة المحلية، ومنها من اندثر وزال نظرا لعدم تداوله ولاختفاء بعض أصناف هذه الطيور، ويمكننا إرجاع غرابة الأسماء إلى تطور المجتمع من البدوية إلى المدنية، وتوظيف مصطلحات حديثة من قبل الجيل المعاصر، فانصرفت الأسماء القديمة للزوال والاندثار، غير أن الشعر الشعبي يبقى الحافظ لهذه الثروة اللغوية والأسماء المحلية التي يمكننا أحياؤها وبعثها من جديد، لصلتها بالفصحى ولفعالية دلالتها اللغوية، ولأنها من تراثنا الشعبي الذي يمثل هويتنا.

وبعد استعراض عناصر الطبيعة من أزهار متنوعة وطيور متعددة في صور بلاغية ممتعة، تأثر في المتلقي وتجعله ينفعل مع الصورة الكلية المكونة من صور جزئية كانت مقسمة بين الأزهار والطيور الجداول والأشجار، يدعونا الشاعر إلى المسارعة للتمتع بهذا المنظر الخلاب والجو الربيعي الجميل، حيث يقول: [1]

---

[1]-نفسه، ص 269.

قُمْ تَغْنَمْ فُرْجَهْ بْوْجُودْ قُدُوْمْ لَفْرَاْحْ مْعَ بْنَاْتْ الْهَيْفَاتْ غْنَاْيَمْ الْسَعْيَهْ
فيْ مْقَاْمْ مْعَلّيْ وَصْوَاتْ بيْتْ وَصْيَاْحْ وَالِشِمَعْ فَالْحَسْكَةْ دُمُوْعُهْ سْنَيْهْ

كما توطّن توظيف الأزهار في شعر المنداسي في وصف حالته النفسية وتأملاته الخاصة التي يدمج فيها الطبيعة بمختلف مظاهرها ومتوسلا بشعرية وجمال الأزهار، حيث يشيد بدور الرياض المملوءة بالأزهار المتنوعة، ويبين أثرها في النفس، حيث ترّوح عن العاشق بلواه وتستمع لشكواه فتواسيه، وتزيل عن الحائر حيرته، وتقاسمه همومه طوال الليل فيقول: [1]

طَاْلْ الْلّيْلْ وَلاْ بَاْ يْلُوحْ فَجْرُوْ ضَاْعْ صَبْرِيْ وَعْيُونيْ نَوْمْهَاْ مْشَرَدْ
الَغْيَامْ نْسَجْ وَنْجُوْمْ الْسّمَاْ اعْتَكْرُوْاْ بَعْدْمَا كَانُوْاْ كَالْيَاقُوْتْ فيْ الْزُمُرُدْ
وَالْنْسَيْمْ كمَا الْعَاْشَقْ يَشْتَكيْ بَهَجْرُوْ وَالْرّيَاْضْ تَبْسَمْ وَأَمْ الْحَسَنْ تْغَرَدْ

إنّ توجه المنداسي إلى توصيف حالته النفسية بالطبيعة المشخصة في الليل والنسيم والرياض يعكس ارتباطه بجماليات الطبيعة وخاصة الأزهار كما أسلفنا، واتحادها في البعد الدلالي لتصبح الأزهار ومكوناتها معادلات رمزية لأحاسيس الشاعر وموقفه من قضاياه المرتبطة بنفسه المغتربة، ويظهر ذلك في دعوته إلى النظر إلى جمالية الأزهار، باعثا فيها الحركة الرومانسية حيث يقول: [2]

قُمْ تْشُوْفْ الْتَبْسيْمْ هَبْ عْلَىْ الأَزْهَاْرْ قَبّلْ مَنْهَا الْخْدُوْدْ وَالثَغْرْ الْبَاْسَمْ
نَاْمْ الْنّسْرِيْ لاْكَنْ الْخْيْلِيْ سَهّاْرْ وَفَتّحْ الْيَاْسْمَيْنْ مَنْ ثَغْرُوْ بَاْسَمْ
صَيّرْ جَنْحْ الْظّلاْمْ فيْ الْقَطْعَانْ نْهَاْرْ وَقَلْبْ وَقْتْ الْهُمُوْمْ بَالْسْرَاْجْ مْوَاسَمْ

يبدو أنّ المنداسي رسم لنا صورة بديعة فسيفسائها الأزهار، حيث بثّ فيها الحياة والحركة، وطعّمها بالأحاسيس والمشاعر من نفسه، مصورا لنا

---

[1]- نفسه، ص 273.

[2]- نفسه، ص 273.

تبسمها، وتقبيلها من خدها، من خلال تصوير نوم زهرة " الْنّسْرِيْ " على كفي النسيم وزهرة "الخَيْلِيْ" ساهرة، وتفتح "الْيَاْسْمَيْنْ" هو باسم الثغر، هذه الأزهار المتلألئة الزاهرة صيرت الظلام نهارا بأنوارها وحركيتها الجمالية، وغيّرت مزاج الشاعر من الحزن إلى الفرح والابتهاج.

ونلحظ من خلال الأبيات السابقة قدرة المنداسي برصيده اللغوي وكثافة صوره الشعرية ودقتها على توظيف الأزهار ومكوناتها وتحميلها طبائع الإنسان، وهي إحدى الميزات الفنية التي تكثر في شعره، حيث يبدو أنه قام باستنطاق جمالي يتسم بالتجديد والإدهاش من خلال إسقاط المشاعر الوجودية على أنواع الأزهار في فنية مطلقة تتميز بالجمالية الممتعة والكثافة الدلالية التي شاعت عند كثير من الشعراء في العصر الحديث.

ويوظف المنداسي الأزهار في وصف الحبيب ومناجاته بالصور الفنية البديعة المستلهمة من خصائصها، مثل النّور والإشراق والإزهار والطهر والنقاء والجمال الفتان وإشاعة الجو المفرح الذي يناشده الشاعر، وهو انعكاس لنفسيته المحبة للجمال والطهر والنقاء، ويظهر هذا في قوله: [1]

فَعَسَىْ تَبْشَرْ الْصبَاْحْ يَبَشْرَكْ بَتَمْسَكْ يَشْرَقْ نُوْرْ جْبَيْنَكْ بَجْمَالْ الْحَبَيْبْ الأَزْهَرْ
يَنْجْمَعْ شَمْلَكْ يَكْمَلْ بِاْلَحْبَيْبْ أَنْسَكْ يَنْشَدْ أَشْعَارَكْ يْحَرَكْ الْوْتَر وَمَزْمَاْرْ
يَتْرَكْ الْجَوْ عْنَاْبَرْ وَالْثْرَىْ مُمْسَكْ يَفْتَرَشْ رَوْضَكْ لَقْدُوْمْ الْوْرُوْدْ وَأَزْهَارْ
يَبْهَرَكْ مَنْظَرْ تَتْمَنَاْ الْنْجُوْمْ نَحْرُوْ وَالَشَفَقْ يَهْوَىْ الْخَدْ الْسَايَلْ الْمَوَرَدْ

ويستلهم المنداسي زهرة شقائق النعمان لينقل للمتلقي جمال حبيبته التي فاقت كل النساء وتفردت عنهنّ بالمحاسن، حيث استعان بصفاتها ليقربنا من شكل حبيبته، حيث يقول: [2]

---

[1]- نفسه، ص 273.

[2]- نفسه، ص 274.

الْعْيُونْ السُوْدْ سَدْدَتْ لْلْقَلْبْ سْهَامْ مَسْمُوْمَةْ لاْ قْتَاْلْ مَاْ عَتْ ْقَتْ صَاْحَبْ
مَاْ تَرْكَتْ مَنْ سْلاْ وَلاْ رَحْمَتْ مَنْ هَاْمْ سَحْرْ بَاْلِيْ ارْتَضَىْ الْكَسْرْ مَنْ حَاْجَبْ
ضَرْبَتْ مْلُوْكْ الأَرْضْ مُقْلَتُهَاْ جَلْنَاْرْ هَذَاْ الْنُعْمَاْنْ عَقْدْ لجِهَتْهَاْ وَاْجَبْ

لعل الشاعر شبّه العيون ذات اللون الأسون بالنبل المسمومة التي تتغلب على خصمها دون قتال أو مواجهة، وقد تغلبت على ملوك الأرض ومن عرفوا بالقوة، فلها كامل السلطة ومنتهى الأمر، كما تتصف بالقسوة فلا تعتق ولا ترحم أسيرها ولا تتيح له أن يفرح أو يهنأ، وقد شبه مقلة الحبيبة بزهرة "بالجلنار"، وثغرها بشقائق النعمان (الأحمر) الذي يبعث على الشهوة والجمال، وهذه التشبيهات قد عرفت في الشعر العربي ولم يشذ عنها الشاعر الشعبي بل انتهجها ووظفها بالمقاييس نفسها بشعرية وبطرق فنية فيها الابتكار والجمالية.

ومن جماليات التصوير عند المنداسي طول نفسه الشعري وتوالد معانيه وسلاسة تعابيره وضخامة قاموسه الشعري، وما يؤكد مذهبنا استمراره في وصف جمال حبيبته مستعينا بتقنية محادثة الأزهار ووصف سحرية ألوانها وأشكالها–كما أسلفنا سابقا–ويبدو جليا في قوله: [1]

هَكْذَاْ بَاْلْصَوْنْ يَكْبَرْنَ الْجَمَاْلْ مَحْرُوْسْ لاْ تْكُوْنْ الْرَوْضَةْ مَرْتَعْ لْلْبْهَاْيَمْ
فيْ الْعْيُوْنْ الْنَرْجَسْ وَاْلْخَدْ فيْهْ مَغْرُوْسْ وَرْدْ وَاْلْجَلْنَاْرْ مَعَ الْحَيَاْ كْمَاْيَمْ

يصور المنداسي العيون بشتى أنواع الأزهار فقد رأيناه سابقا وصفها "بالْجَلْنَاْرْ"، وفي هذه الأبيات يصفها بالنرجس وانبعاث هيئته منها، ويلحق بها الخد بمخالفة جميلة حيث الورد ذو اللون الوردي فيه مغروس، وهذا دلالة على الكثرة والكفاءة والديمومة في اللون والرائحة، ويكثف من حضور "الْجَلْنَاْرْ" في محيا الحبيبة بصور كثيفة (كْمَاْيَمْ)، لكن المنداسي يظهره في هيئة حياء وهي

[1]– نفسه، ص 274.

صفة معنوية ألحقها "بالْجَلْنَارْ" دلالة على الجمال والنقاء والطهر الذي يكتنف محيا الحبيبة.

ليواصل المنداسي نقل الصورة الكلية المتمثل في وجه وطلعة الحبيبة بواسطة صور جزئية وذلك بالاستعانة بجمالية الأزهار المتنوعة، فبعد العينين والخدين ينتقل إلى الثغر والوجه عموما، ثم يختتم بتصوير القوام، حيث يقول: [1]

وَالْمَبْيَسَمْ شَهْدَةْ فيْ جَبْحْ نَحَلْ مَغْرُوْسْ وَالْقُوَاْمْ عَنْ غَصْنُوْ غَنَاْتْ الْحْمَاْيَمْ
وَالْمَقْمَرْ مَنْ وَجْهُوْ مَنْ تَبْعُوْ يَقْصّرُوْ كالْغُصْنْ تَتْمَاْيَلْ فيْ ثَوْبَهَاْ مْجَرَدْ

لعل من جماليات التصوير عند المنداسي الدقة في الوصف والتركيز في التعبير، ويظهر من خلال لفظة(الْمَبْيَسَمْ) وهو تصغير لمَبْسَم، وهذا ما يعرف في الأوساط الشعبية أنّ من صور جمال المرأة صغر مبسمها الذي يكتنف على الحسن والبهاء، وقد وصفه بأنه (جَبْحْ نَحَلْ مَغْرُوْسْ) أي خلية نحل تتقاطر عسلا وتفيض حلاوة، وعند ذكر النحل يستلزم ذكر الأزهار والأشجار التي وصف بها قوام الحبيبة، وذلك بطول وانسياب أغصانها التي يحبها الحمام والطيور.

ليختم الشاعر لوحته الفنية بشكوى من عذاب الهجر والصدّ الذي يلقاه من حبيبته، وبذلك يكون قد أنهى رسم الصورة الكلية لها، حيث يقول: [2]

يَاْ عْذَاْبِيْ شَفَيْتْ عَيْنِيْ بْرَيْقْ ثَغْرُوْ
حَيْنْ يَتْبَسَمْ فيْ وَقْتْ الْسّلاْمْ يَنْشَدْ
وَالْرّيَاْضْ تَبْسَمْ وَأُمْ الْحَسَنْ

---

[1]- نفسه، ص 274.

[2]- نفسه، ص 274.

فالريـاض بأزهارهـا الملونـة ورائحتهـا الطيبـة لا تغيـب علـى المشـهد الشعري للمنداسي، حيث وجدناه يستعين بها في أغلب قصائده خاصة الوصفية سواء في المدح أو الغزل، فالشاعر يلجأ إلى الطبيعة بمختلف أشكالها ليستعير منهـا هـذه الأدوات لرسـم صـوره ونقلهـا للمتلقـي، وعـادة مـا تكـون مجملـة دون استثناء، إذ حديثه عن الأزهار لا يقتصر عليها فقط بل يشمل ما حولها وما يصاحبها في الطبيعة من أشجار وأغصان وطيور بأشكالها وأنواعها أيضا، وهذا يكشف عن كفاءة المنداسي في توظيف الأزهار وتطويعها لمعانيه الشعرية.

خاتمة:

من خلال دراستنا لتوظيف الأزهار في الخطاب الشعري الشعبي عند المنداسي نرصد النتائج التالية:

1-استطاع الشاعر الشعبي الجزائري دمج مظاهر الطبيعة في خطابه الشعري وتطويعها لصياغة الفكرة وتشكيل الصورة الشعرية بكفاءة ونجاح.

2-المنداسي أحد الشعراء الذين نجحوا في الاستعانة بجماليات الأزهار والطيور والأشجار بمختلف ألوانها وأشكالها في تصوير مشاعره وأحاسيسه.

3-تمكن الشاعر من جعل الأزهار بديلا وجدانيا وجماليا لصفات معنوية في الموصوف(الممدوح).

4-للارتقاء بالأفكار وتعميق الدلالات استعان المنداسي بالأسلوب البياني المتمثل في الكنائي والتشبيهي والاستعاري، ومتكئا على الإيحاء وتكثيف الصورة وهذا للتقرب من المتلقي وجعله يتفاعل مع الفكرة ويتأثر بالخطاب الشعري المرسل.

قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1.

2. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

3. الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، 1984.

4. الأعشى، ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس)، شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1987.

5. امرؤ القيس، الديوان، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة.

6. بشر بن أبي خازم الأسدي، الديوان، تحقيق: عزة حسن، وزارة الثقافة، دمشق، ط 2، 1972.

7. ديوان سعيد بن عبد الله المنداسي(الشعبي): تقديم وتحقيق: الأستاذ محمد بخوشة، مقدمة الديوان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، د ت.

8. ديوان سعيد بن عبد الله التلمساني المنداسي (االفصيح): تحقيق وتقديم:رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط.

9. صالح حسن اليظي، البحتري بين نقاد عصره، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1982.

10. طرفة بن العبد، الديوان، تحقيق: درية الخطيب ولطفي الصقال، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1975.

11. عبد الحق زريوح، الخصائص الفنية للشعر الشعبي، رسالة ماجستير، مخطوط، معهد الثقافة الشعبية، تلمسان، 1991.

12. عبيد بن الأبرص، الديوان، تحقيق: حسين نصار، القاهرة، ط1.

13. الفراهيدي، العين، دار صادر، بيروت، لبنان.

14. محمد بن الكتاني الطبيب، كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق: إحسان عباس، دار الشروق، بيروت، ط2، 1981.

15. محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، المطبعة الخيرية، مصر، تصوير دار مكتبة الحياة، بيروت، 1306هـ .

16. المفضل، المفضليات، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط 3، 1964.

17. نوري حمودي القيسي، الطبيعة في الشعر الجاهلي، دار الإرشاد، بيروت، ط1، 1970.